

ناصر قنديل

في حديث الجمعة هذا الأسبوع، بعد الصباحت للأسد، وذُكر إن تنفع الذكرى بما سبق وكُتب، كلام من القلب إلى القلب في الحرب والحب في «قالت له»، ومعادلات الرياضيات في الكلام من الحكم والخبرات، وخلاصة الكلام ممّا قاله الأسد في خطاب القسم من معانٍ جديدة في قراءة الحرب وقوانين النصر والهزيمة، ومعادلات الاستراتيجية الجديدة.

صباطات

صباح الخير
صباح الخير للأسد، لعز لا تفكّ أسراره الأهم
صباح الخير للبلد، لأهله من استشهدوا ومن سلموا
صباح الخير لمن أياهم وأبكاهم
وهم يحنّون حبلةً لسرقة النصر من بين يديه
ويخشون مجرّد النظر في عينيه
صباح الخير لأسطورة العصر وصانع النصر
أعلى الرجال وقد وضعوا لهزيمة ما عزّ وغلا من المال
أدعى الرجال وقد سُخّرت مئات العقول الحواسيب ليسقط محال
أقوى الرجال وقد اجتمعت عليه الدنيا وما اهتَزّ أو مال
كلّ من قال رحيله أضفى قريبا، رطلوا والباقى يرحلون
فيهموم ويعاودون ليهزموا لأنّ قذرهـم أنّهم يهزمون
جمعوا له من أصقاع الكون رجالا لا يهابون الموت وما اجتمعوا لقتال سواه
فعداوا في أكياس الموت السوداء قبل أن تخرج منهم الأه
يحبسون عليه إن تنفّس أو تكلم، ويفاجئهم بالانتمامة
يلقي على جنده تحية العيد
ينظرون منه أن يعبس أو يتألم، ويدفعون ما فوقهم
وتحتهم لتأّ يخرج من جديد
وضعوا لرحيله المواعيد من عيد إلى عيد، فصارت أعيادهم مآثم
وصار العيد يوم الشهيد
صباح الخير للشهيد
صباح الخير للرجل الحديد
أعصابٌ حديد وقلبٌ حديد وقبضةٌ حديد
قليهم لبن وسلاحهم فتنّ وحياتهم مخن
ولا يغفل الحديد إلا الحديد
صباح الخير للجولان
صباح الخير لفلسطين صباح الخير للعداء كل صباح كل زمن
صباح الخير للميدان ولبنان وتونس والجزائر والعراق واليمن
صباح الخير للعبوة تطلّ من برج العذراء
صباحك قيصرا للشرق تمشي الهويناء
زماننا تغتّر معك صار أحلى
أطمانا تكبر معك فالعلم تجنّى
كلماتنا تصغر ووحدها تكبر الكلا
كلا صارت مفتاح الكرامة
كلا صارت مقاومة كلا للهزيمة كلا للفتنة كلا للمساومة
صباح الخير للأسد يبشّر بالنصر على صهوة شمس الشام وباسميناها
صباح الخير لبشار أمة تطوي السواد وتهض عروساً يهاوى أعداؤها
عن بسارها وبميناها
صباح الخير للشام
صباح الخير لبيدار الغضب
صباح الخير قريبا من حلب

قالت له

قالت له: هل الحبّ مؤسّسة أم حالة؟ قال: وماذا تفصدين؟ فقلت: عندما كنّا نقرأ قصص الحب، كنّا نظنّ أنّ الحب غاية ترتجى، فلما نبلغها دخلنا جنّة عدن، ولما كبرنا ودخلنا لعبة الحياة والحب، تغتّرت الحال فصار ما نبلغه ونطاله هو الحبيب، ولما نبلغه ونصل إليه نشعر بالحب، لكنّنا نبقى نبحث مع الحبيب عن السعادة، فنظنّها في الزواج، فلما تقترب نكتشفه بناءً من الإسمنت والحجر بلا روح، وتدخل تشابكات الشراكة في هموم واهتمامات لا مكان فيها للورد والعطر ولا حتّى لهواء الرطب، بل للأشواك والاشخاب والجفاف، فنعرّض النفس بأنّ بعد العسر يسرا، فندخل القفص الذهبي، فيذ لونه بريق مخادع والقفص قفص. نبيع الحرية ليشترى كلّ منّا لنفسه قيّداً، ويصير كلّ منّا جيشاً والآخر قائداً يصدر الأوامر باسم الشراكة. وماذا سيفوق الناس وما عساي أقول للناس، حتّى تكون الأبوّة والأموهة؟ فنكتشف أنّها الفرح الذي يعرّض، ونصوغ بدائل للحبّ نسّمياها التفاهات، ونحن كنّا نرفض التفاهات أيام أحلام الحبّ، ويكبر الأولاد فنكتشف عكس ما تمنّيا، فهم ليسوا لنا كما نحن لم نكن لابائنا وأمهاتنا، ننتظر الأصفاد وتكون التعزية الثانية، ونغادر الحياة عالياً قبل الاكتشاف الجديد، فهل الحبّ هو تلك الومضة التي ورطتنا بمسيرة الخيات والتعزية؟ أم تلك المؤسّسة التي تجمع بداية الطريق بمنتهيها؟

قال لها: الحب هو الخدعة التي لولها ما واصلنا الحياة ولا كان التناسل وكانت الأجيال، ومن حسن الحظ أنّ أحداً لا يخبر أحداً أنّ هذا هو الحب عملا يصراخ السمّوال، لا تخبر أحداً كي لا تموت المروءة عند العرب، وهنا كي لا يموت الحبّ بين الناس.

فقلت له: أنا لا أسالك حكمة القدّار والخالق وخدعة الأحلام وأسرارها، بل أسأل أنه إذا كان الحبّ حالة فالأولى أن نقطع ونتنقل من حب إلى حب قبل نغاد ذخيرة الشوق والانتظار.

قال لها: لو فعلنا ذلك لخسرنا النصف الثاني من العمر الذي تنفض فيه قيمتنا المضافة، وقدرتنا التنافسية، وخسرنا أبناء والبنات ومنتعة أن تكون لنا أسرة، البحث عن استمرار الحالة والمؤسّسة لا يجتمعان.

رياضيات في الكلام

◆ السعادة أن يكون لديك من ترغب أن تنظر في عينيه وترى فيها الانتمامة لدى كل إنجان، أو سببا لفرح، فإن افتقدتها لمن تشهد السعادة في عينك، فالسعادة هي شعور الرضا بالقدرة على صناعة الفرح، ومن لا يتغن صناعة الفرح لغيره لا يعرف الفرح والسعادة أبداً. لأنّ غيره من سيصنع له الفرح ليشعر بالسعادة.

◆ السلطة والمال والحبّ في سعي الناس إلى السعادة، وهم امتلاكها ممّا بلا سقف ولا حدود، فيكشّفون السراب، لأنّ كلّ المال وكلّ السلطة يعينان لا حب، وكلّ الحب وكلّ المال يعينان لا سلطة، وكلّ السلطة والحب يعينان لا مال. القناعة ببعض من كلّ شيء يجلب السعادة، بل القدرة على رفض المزيد.

البناء



مختصر مفيد

وهي تتكوّن ببرود موجات الهجرات والموجات البشرية الوافدة عبر الألف وعشرات الألف السنوات لتستوعب في نهرها روافد وجداول. وتواصل التراكم كجبال نشأت عبر العصور الجيولوجية بطبقاتها، لا تشبهها جبال صناعية بناها مهندسون من الباطون المسلّح، والكتل الترابية المستجلبة، وعزّة النفس والكرامة والسبادة قيمة غير تجارية تراكمها الشعوب والقبائل بجباناتها لأجيالها، وهي تتباهى بمجزأتها للحضارة الإنسانية. فإن قال السوريون نحن صنعنا للبشرية الأجدية ومن عندنا انطلقت الديانات، كم بدأ في العالم يستطيع يقول ذلك؟ وإن قالت سورية أنها هزمت الغزوات الرومانية والمغول والتتار وغزوات الفرنجة والعثمانيين والفرنسيين، من يستطيع أن يقول مثلها؟ وإن قالت إن عمر العيش الحر بين أتباع الديانات في تجاورهم اليومي في السكن والعمل وتساوبهم الطبيعي في الدولة والمجتمع هو من عمر هذه الديانات نفسها، فهل يستطيع السعودي والأميركي أن يقولوا مثلها؟

◆ البحث يحتاج مساحات ووقائع أكثر بكثير من توازن الثقة بالنفس والثقة بالبقاء في هذه الأرض، والنشئة باعتدال مناخها. لكن الجوهرى أن ثمة مصدر من مصادر القوة الاستراتيجية للدول يضاف إلى مساحتها وعدد سكانها وثرواتها وجيشها. هذا المصدر هو عمر هذه الدول عبر الزمن وتجذرها في التاريخ وإسهامها في الحضارة الإنسانية بما يعادل النّقل النوعي الحضاري للأمم، الذي يصنع قلوبيتها أو مناعها في وجه خطر القسم أو الانهزام والضعف، ودرجة توترها على ما سيكتب التاريخ إلى جانب تاريخ أمجاد الأجداد.

ذُكر إن تنفع الذكرى

في هذا الجمعة أستعيد مقالاً عمره سنة بالتمام والكمال، عندما تزامنت تغييرات قيادة ما يسمّى بـ«الائتلاف السوري المعارض» مع تغيير القيادة القطرية لحزب البعث، والتغييرين الجوهريين في البنييتين المتواجهتين شعبياً وسياسياً وعسكرياً في سورية. كان كلّ منهما لشدّ عصب الجبهة التي يمثّلها في الحرب.

جاءت الأحداث اليوم لتقول إنّ المسار الذي عرفه «الائتلاف» خلال سنة من هذه التغييرات، مسار انحداري وصولاً إلى الانحلال، وإن المسار الذي اختطته الجبهة الداخلية للدولة السورية بعد تغييرات القيادة الحزبية، مسار تصاعدي نحو المزيد من مصادر القوّة، عبرت عن نفسها بصورة مباشرة بكتائب البعث من جهة، وقوات الدفاع الوطني من جهة أخرى، والحصيلة واضحة اليوم في كل جبهات القتال. المقال استقرأ في لحظة ولادة التغييرات لما سياترتب عليها.

التغييرات السورية متتالية

◆ تزامنت تغييرات القيادة القطرية لحزب البعث في سورية مع تغييرات في قيادة الائتلاف المعارض، ويبدو مستحيلأ عدم ربط التغييرين بالمتغيرات في المشهد السياسي.

◆ يمكن لاستقراء هادئ لمغزى التغييرين استكشاف ماهية التطوّرات المرتقبة في سورية، وكيفية استعداد كل من الفريقين المتواجهين لملاقاتها واستقراء طبيعة الرسائل التي حملتها مواجهة السنّتين عن المطلوب ملاقاته، والاستعداد له وما يجب تغييره في البنية للتمكن من تحقيق أعلى الأرباح، أو الوقوع في أقلّ الخسائر.

◆ ماهية التغيير الرئيسي في الائتلاف المعارض، تركزت على الرّخ بكتلة جديدة من عشرين عضواً في الهيئة العامة لإعراق المجموعة الاخوانية المهمة وصولاً إلى تمكين هذه المجموعة الجديدة التي يقودها ميشال كيلو وتضمّ ممثلين عن الاستخبارات السعودية يتزعمهم أحمد الجريا، من تولى رئاسة الائتلاف، بنسخ الجريا، وهذا يعني أن التغيير يقوم على إبعاد الاخوان عن القرار وتحجيمهم على إيقاع التغيير المصري، والتأقلم مع نهاية الحقبة الاخوانية من جهة، واستبدال نموذج العنوان الديني الواسطي بين الاخوان والسلفية الذي مثله أحمد معاذ الخطيب بنموذج أعباء الاشتباك العنلي مع مفردات القاعدة من جهة أخرى.

◆ التغيير في الائتلاف تعبير عن إمساك سعودي بدفة القرار بدلاً من قطر وتركيا، لكن هذا لا يفيدنا في فهم مغزاه السياسي إذ يربطه بإنهاء حقبة القيادة الاخوانية والسلفية من قيادة رسمية للمعارضة تتعقد عند إظهارها موارد المال والتسلّيح والتعامل السياسي من دوائر الغرب والخليج، وهذا يعني من جهة محاولة تكثيف خسائر انهيار المشروع الاخواني عن المعارضة، والسعي إلى تحييدها عن تداعيات الصراع المفتوح بين هذا المشروع في كل من مصر وتركيا مع العلمانيين والليبراليين في المجتمع، والجيش المدعومين من الغرب أيضاً، كما يعني من جهة أخرى التنسب لملاقاة مرحلة التضاد الداهم يوماً بعد يوم مع مفردات القاعدة المتعدّدة في جسم المعارضة، وهو تصادم بدأت تابشره بعض النظر عن التفسيرات المجتزأه لمغزاها.

◆ هذا التغيير إذأ، على رغم كل ما قيل فيه، هو محاولة دفاعية للتأني بالنفس عن أضرار قادمة والتخفيف من أعباء ماضية، والاستعداد لتشققات في البنييتين الشعبية والعسكرية. يجب أن يبقى الرأس السياسي بعيداً عنها أو أن يكون على ضفة أحد مكوثاتها الأكثر انسجاماً مع الرؤيا المستقبلية للمنطقة، حيث لا مكان لمشروع الاخوان، وحيث التضاد مع القاعدة.

◆ في إسقاط هذا النهيؤ على مكونات قوى المعارضة وفاعليتها، نستنتج ببساطة أن الاتجاه هو لتجريد المعارضة الرسمية من ثقلها الشعبي الاخواني والعسكري السلفي، وما يعنيه ذلك من تهميشها في الداخل السوري السياسي والعسكري وتحويلها إلى مجرد عنوان خارجي قد يصلح للجوس على كرسي التفاوض بلا قدمين في الميدان العسكري يؤهلها التشارك في وقف نار، وبلا بدتين في السياسة تؤهلها خوض انتخابات. إن المبالغة بالتأثر بتصادم الضجيج عن التسلّيح والهجوم المعاكس واستعادة التوازن العسكري لما قبل معركة القصر، قد نشر غباراً منع الكثيرين من رؤية هذه المعادلة الجديدة، والنوهم أنّ ما جرى في جسم الائتلاف خروج من مرحلة التشرذم والضعف إلى مرحلة من التماسك والقوة.

◆ الائتلاف يستعد للتحوّل إلى لاقمة خارجية لحضور مؤتمر جنيف بقيادة سعودية

◆ عام **2006**، قدّمت المقاومة نصرها التاريخي

الإعجازي بخسر قوانين الحرب الكلاسيكية، وإثبات أنّ بمستطاع جيش صغير من بضعة آلاف، مكوّن بطريقة شبه نظامية وغير نظامية، لا يملك سلاح مدزعات ولا طيراناً ولا بوارج ولا حاملات، أن يلحق الهزيمة بسداس جيش نظامي في العالم، يمتلك ما لا يمتلكه إنا الدول العظمى من أدوات الحرب، ويمنعه من التقدّم شبرأ

واحدأ داخل الأراضي التي يتولى الدفاع عنها وحمائتها. وكانت المرّة الأولى التي يحدث فيها ذلك في التاريخ. إذ كان قانون الحرب أنّ الدفاع عن خطوط ثابتة في الجغرافيا، ليس من مهام حركات المقاومة، مهما كان عديدها وعتادها. وكان التعديل الذي أدخلته المقاومة على قانون الحرب عنوانه أنّ توازن النيران لم يعد العنصر الحاكم لنتائج الحروب، فتوازن بذل الدماء وتوازن الخوف صارا عاملين شريكين بالنسبة ذاتها في صناة حاصل التوازن الذي يقرّر نهاية الحروب.

◆ في الحرب على سورية ثبت أنّ الغرب وعلى رأسه مركز القرار الأميركي قد انته لهذه النتيجة، وقرأ معنى أن يهزم الجيش الأميركي في العراق ويفرّز الانسحاب. وهو لم يخسر بعد أربعة آلاف جندي ومئات الدبابات. بينما لم يبدأ يتحدّث عن التفكير بالانسحاب إنّ عندما تجاوزت خسائره خمسين ألف قتيل وآلاف الدبابات، وكيف أن إسرائيل، التي خسرت فقط مئة وقتيلين، هزمت أمام من تنسّبت لهم بخسارة تفوق الألف من الأرواح. فمزّرت الابتعاد وحلفاؤها الذين يعانون مثلها البؤساء ذاته. العجز عن تحمل بذل الدماء، ورجّت بمن يملك هذه القيمة المضافة بصورة افترضت أنها تضاهي قدرة الجيش السوري وطيافته المقاومة اللبنانية.

◆ خضض الرئيس الأسد مقررات هامة من خطابه

لتفسير هذا الإعجاز الثاني الذي تحقّق بنصر سورية على تحالف يضمّ مئة دولة ومئة فضائية، وسُخّرت له مئة

فتوى ومئة مليار دولار، ومئة تنظيم متفرّع من القاعدة

يبدّل كل يوم مئة انتحاري، ويقطع مئة رأس ويقرطون

مئة حامل، فكيف حدث هذا؟ يجيب الرئيس الأسد إنّ

مراكز الدراسات ستبقى لعشرات السنّين تبحث وتبحث

لكفّ شيفرات هذا العجز.

◆ يجيب الرئيس الأسد بتقديم مطالعة تنطلق عن

إدخاله في قراءة الاستراتيجية وتوازنتها عملاً جديداً

يقرّر مستقبل الحروب، وهو التوازن الحضاري، المخزون

الثقافي للأمم والشعوب، والوزن النوعي التاريخي

للدول، فالدول الحديثة المصنّعة لا تملك قدرة الصمود

كأهم عمرها عشرات آلاف السنّين. التعايش متعدّد

العراق والديانات خبرة تراكمية هادئة تمتلكها سورية،

حديث الجمعة